

خاتمة

هل يمكننا أن نتساءل في الأخير عن أهمية وجود صحافة حزبية في المغرب؟! وهل ذلك الوجود الذي يربط "السياسي بالإعلامي" ضروري في مجال الصحافة عموما.. وماذا كان من الممكن أ، يكون لو لم تكن صحافة الحزب؟ أسئلة ضرورية لفهم جهاد "السلطة الرابعة" في المغرب.. -إذا جاز لنا أ، نسميه كذلك-.

فمن خلال هذا البحث المتواضع، نكون قد لمسنا جانبا مهما من العلاقة القائمة بين السياسي والإعلامي، وبالتالي تكون الصحافة هي الخيط الرابط الذي يصل الحزب بالإعلام.

لقد تتبعنا المراحل الأولى لنشوء الأحزاب السياسية في المغرب، وكيف وجدت الطريق إلى التعبير عن آرائها وأفكارها عبر الصحف التي أصدرتها والتي لقيت في جميع مراحل ظهورها أنواعا شتى من المضايقات وعمليات الحجز والمنع والرقابة...

فما كان من ذلك كله إلا تحفيزا على المزيد من النضال ومواجهة الصعاب من أجل أن تصبح كل صحيفة على حدة معتزة بكونها الناطق الرسمي ولسان حال الحزب الذي له الفضل عليها.

إن الواقع يؤكد أن صحافة الحزب خلال مراحلها الأولى كانت لها الريادة في التوعية والنهوض بالعقل المغربي من أجل المطالبة بحريته وباستقلاله، هذا إلى جانب تغذية الحس الوطني المغربي متجهة به نحو بلورة الكفاح السياسي من العشوائية إلى التنظيم.

ولذلك رأينا كيف كان للصحف الدور الفعال في نشر أفكار الحزب، وكيف أنها كانت ومنذ بداياتها الأولى الملقنة الأولى للخطاب الحزبي الذي غالبا ما كان يتفاعل مع مختلف الظروف والأحداث..

وسواء كان الخطاب مباشرا أو غير مباشر، فهو في الأخير يبقى خطابا سياسيا ممنهجا بأساليب لا تخلو من رنين الإيديولوجيات المعاصرة.

فإلى أي حد يمكن التأكيد على أهمية وجود صحافة حزبية في المغرب؟ من خلال الدراسة الميدانية لمجموعة من الصحف الحزبية المغربي، يتضح لنا جليا أنه يجب الاعتراف لصحافة الحزب ببعض من المنجزات في المجال السياسي المغربي.. ولعل خير ما يمكن ذكره في هذا الباب هو ذلك السجل الخطابى الذي ميز الصحافة المغربية سواء في فترات ظهورها الأولى أو أثناء مراحلها المتأخرة.. بحيث أن صحافة "الأحزاب الديمقراطية" أو صحافة "أحزاب المعارضة السياسية" كانت معروفة بخطاباتها المنقذة للسياسات الحكومية المتعاقبة عبر مختلف مراحل وجودها في المغرب.

ولعل خطابات "التحرير" و"المحرر" و"الاتحاد الاشتراكي" و"العلم" و"أنوال" خير دليل على ذلك السجال السياسي - على الرغم من أنه كان في بعض الأحيان مصطنعا- والذي انفردت به، بحيث يبدو بروز نوع من "حرية التعبير" السياسي داخل الإطار الإعلامي.

أما إذا أردنا الخوض في المجال الإعلامي الصرف لجرائد الأحزاب، فلا نكاد نعر له على أثر إيجابي، لأن الصحيفة تبقى أولا وأخيرا بابا يدخل منه الحزب إلى المجتمع لمحاولة فرض وجوده بتمرير خطاباته السياسية المؤدلجة، وكما رأينا ذلك -ونراه يوميا- فإن الخطاب سواء منه المباشر أو غير المباشر، فهو في الأول وفي الأخير رأي للحزب الفلاني أو العلاني، وحتى تلك الأبواب ... أو ما يسمى بالملحقات الأسبوعية، فلا تعدو أن تكون خطابا أيديولوجيا تحت غطاء إعلامي سواء في حلته الثقافية أو الاجتماعية أو حتى الدينية..

ونخلص في نهاية الجواب إلى القول بأننا نفتقد لتلك الصحافة الجادة التي لا هم لها سوى توعية وتثقيف وإخبار المجتمع خارجا عن أي تأثير أو توجيه، ويبقى الهم الوحيد لهذه الصحيفة أو لتلك، هو كيف يمكن أ، يصبح الجميع إما "يمينيا" وإما "يساريا" سواء بأسلوب خطاب مباشر أو غير مباشر.

ثم يأتي التساؤل الثاني ليكرس حقيقة الأشياء داخل الصحافة الحزبية في المغرب، أو بالأحرى من خلال علاقة السياسي بالإعلامي عموما. وهنا يبقى الجواب هو الكفيل إما بالخروج بالصحافة من مأزق التبعية السياسية أو بتكريس واقعها، هذا الواقع الذي يبدو أنه واقع لا مجال للحيد عنه إلا بتوفير أربعة أمور نرى فيها الملاذ الوحيد للفصل بين السياسي والإعلامي:

أولها ضرورة توفر الاستقلال التام البعيد عن كل تبعية سياسية أو اقتصادية..

وثانيها يشمل توفر جميع الإمكانيات المادية المساهمة في تطوير المنتج الإعلامي،

والثالث يتمثل في إلزامية توفر حرية للتعبير غير المقيدة بأي شرط من الشروط..

أما رابعها وأخيرها فهو إيجاد العقول النيرة التي يكون همها الوحيد هو الرفع من مستوى مجتمعها

فكريا وسياسيا واقتصاديا واجتماعيا...

دون ذلك ستبقى الصحافة عائمة في عموميات "النعرة الحزبية السياسية". ولربما يتحدث البعض عن وجود صحافة "مستقلة" تخدم المجتمع باستقلاليته تلك .. لكن، عن أي استقلالية يتحدثون وعن أي صحافة يشيرون بالبنان؟ إنها فقط مجرد صحافة "تجارية" بعيدة كل البعد عن الاستقلالية بمفهوم كلمة الاستقلالية التي تعني التجرد من كل تبعية.. وحتى تلك التي تدعي بأنها تحو منحى الاستقلالية السياسية فهي لا

يمكن أ، نطلق عليها -الصحافة المستقلة- لأن نصف ما تقدمه من مواد عبارة عن صفحات إخبارية .. ولا داعي أن نخوض في مجال يستوجب بحثا خاصا للحديث عنه.

إن، وإلى جانب الحديث عن علاقة السياسي بالإعلامي، وجب إضافة عنصر "علاقة الاقتصادي بالإعلامي" لأن الاستقلال السياسي والاقتصادي هما اللذان وجب توفرهما في الصحيفة كي تكون صحيفة مستقلة بمفهومها الحقيقي. وهذا غير وارد في صحافتنا .. فإما أنها صحافة حزبية أو أنها صحافة تجارية..

أما الموضوعية والمصداقية الإعلامية فغير واردتان في الصحافة الوطنية الحزبية، حيث يبقى التساؤل حول ماذا كان من الممكن أن يكون لو لم تكن صحافة الحزب، سؤالا معلقا.. لأن توفر الشروط الأربع السالفة الذكر لإيجاد صحافة جادة، غير ممكنة التحقق -على الأقل في ظروفنا الحالية-. وإلى حين توفرها من أجل تحقيق مشروع إعلامي صحافي - هادف، تبقى الصحافة الحزبية هي الملاذ الوحيد لارتواء الظمان في بركة تستوجب معرفة، بل وإتقان الاعتراف منها دون السقوط في متاهات هو في غنى عنها.

حسن اليوسفي